بدايات الوعظ الديني في الإذاعة
من دروس مفتي الجزائر محمد بابا عمر

إعداد | د. أحمد قريق احسن

بعض الأضواء على حياة وثقافة المفتي

المفتي الفقيه المقرئ المحدّث شيخ الإسلام بالجزائر وآخر من تولى منصب الإفتاء الرسمي بها شاطبي عصره الوقور الحكيم الامام الخطيب المدرس الواعظ الأستاذ **محمد بابا عمر**.

اسمه كاملا كما جاء في إجازته للشيخ **محمد كتو** هو: محمد بن مصطفى بن محمد بن المدني بن الشيخ بابا عمر. كان والده **الحاج مصطفى** تاليا لكتاب اللّه عز وجل وحزابا بجامع "ابن سعدون" بالبليدة. وكان للحاج مصطفى أربعة أبناء ذكور. اثنان منهم توظفوا في السلك الديني، أحدهما وهو **محمد** أصبح مفتيا فيما بعد، والآخر **امحمد** وكان إماما.

أما أسلافه وباقي أعضاء أسرته فالمعروف على العموم أن العائلة كانت عائلة مثقفة ينتمي الكثير من أعضائها إلى أسلاك القضاء والامامة والتعليم. كما التحق بعضهم بجيش الأمير عبد القادر وشارك في مقاومة الاحتلال.

أما المفتي **محمد** فقد ولد يوم السبت 22 محرم 1311هـ / 5 أوت 1893م بحي الدويرات – أولاد سلطان بالبليدة ونشأ به. حفظ القرآن الكريم وتلقّى تعليمه بمساجد المدينة على يد علمائها ومشايخها. ومنهم: الشيخ **عبد الرحمن بن أحمد زروق** (حي 1915م)؛ الشيخ **أحمد ابن قدور** (ت 1938م)، الذي أجاز تلميذه **بابا عمر** في "التصانيف العلمية المتداولة في جميع الديار والأقطار"، يقصد بها المتون العلمية المعروفة "كنظم ابن عاشر" و"متن الاجرومية" و"صغرى السنوسي" و"السلم المرونق في علم المنطق" للأخضري[1]؛ الشيخ **قدور بن علي المهدي البليدي** (حي 1339هـ/1921م)، وقد وصف الشيخ **بابا عمر** ظروف حصوله على الاجازة

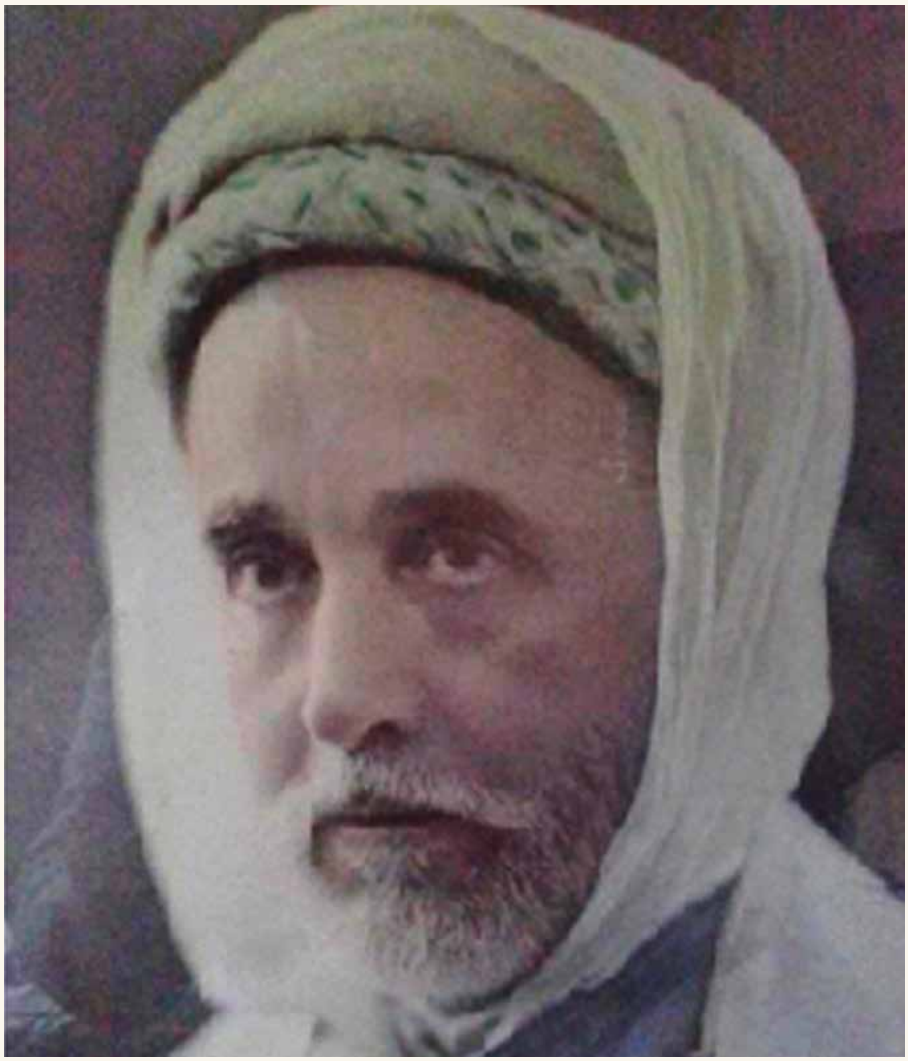

من شيخه هذا في رسالته إلى **المهدي البوعبدلي** وفيها أنها تمت بحضور الشيخ **عبد الحي الكتاني** وبقلمه إذ أملاها عليه الشيخ **المهدي** لكونه بصيرا. فيقول المفتي أنه قرأ "ختمة كاملة بالقراءات السَّبع على أستاذنا المرحوم سيدي قدور بن علي المهدي البليدي مع ما يلزم لذلك من شروح الشَّاطبية بشرحي ابن القاصح والجعبري وكذلك "غيث النفع في القراءات السَّبع" لسيِّدي علي النوري السفاقسي وغير ذلك مما يلزم لتحقيق القراءات من رسائل التَّجويد"[2]، وكانت الاجازة بتاريخ يوم الخميس 21 ذي الحجَّة 1339/ 26 أوت 1921 م.

وفي مدينة الجزائر التقى بالشيخ **أمين قدور بن محمد بن عبد الرحمن** الامام (1865-1940م)، الذي أجازه. وجاء في نص إجازته: "قد أجزت السيد محمد المذكور

(1) سليم بابا عمر، نبذة عن حياة المفتي محمد بابا عمر بقلم ابنه.
(2) المهدي البوعبدلي، الأعمال الكاملة، قسم المراسلات، دار المعرفة لنشر والتوزيع، 140.

بما صحت به روايتي من سند الصحيحين وغيرهما بواسطة شيخنا المنعم المرحوم سيدي محمد بن أحمد بو قندورة عن أستاذه شيخ الإسلام ومفتي الأنام وخاتمة العلماء الأعلام مولانا علي بن عبد الرحمن المدعو **ابن** الحفاف عليه سحائب الرحمة والرضوان عن شيخه مولانا محمد صالح الرضوي البخاري ابن خير اللّه الحسيني قدس اللّه سره ونفعنا به آمين"، وكان ذلك بتاريخ أوائل ربيع الأول 1358هـ/ جوان 1939م.

كما أجازه كذلك المحدث الشهير **محمد عبد الحي الكتاني** (1302-1382هـ/ 1884-1962م)، صاحب فهرس الفهارس والأثبات، الذي التقى به بالبليدة يوم الخميس 21 ذي الحجَّة سنة 1339هـ/ 26 أوت 1921م وأجازه في نفس مجلس إجازة شيخه قدور البليدي، وهي "إجازة عامة مطلقة تامة" بالقرآن وبالقراءات السبع "وبغيرها من الأمور النافعة علوما وغيرها". كما أجازه في الطريقة الكتانية التي تنتمي إليها عائلته دون طلب من الشيخ **بابا عمر**[3].

وتحصل بالمراسلة على إجازة متأخرة من شيخ الإسلام المفتي المفسر **الطاهر ابن عاشور** التونسي (1296-1393هـ/ 1879-1973م)، صاحب تفسير "التحرير والتنوير". وهي إجازة في رواية الحديث والعلوم الشرعية.

تقلد الشيخ خلال حياته العملية الطويلة عدة وظائف حملته إلى العديد من مناطق البلاد أو حتى خارجها وجعلته يتحمل مسؤوليات كبرى في عصره. بداية، تشير بعض المصادر أن أباه **الحاج مصطفى** كان حزابا بجامع بمدينة البليدة. أنشأ بداية مدرسة قرآنية خاصة بالبليدة. ثم تولى عدد من المناصب الرسمية، كان أولها منصب باش حزاب بجامع "ابن سعدون" بالبليدة (1921-1923م)، ثم حزاب بجامع سيدي عبد الرحمن بمدينة الجزائر خلال الفترة: 1923-1925م. ثم انتقل إلى الإمامة بمسجد القبة العتيق (1925-1934م)، والإمامة بالجامع الجديد (1934-1938م)، ونيابة المفتي الحنفي بالجامع الجديد (1938-1941م)، ثم الفتوى على المذهب الحنفي (1941م). وأخيرا انتصب للفتوى على المذهب المالكي سنة 1944م وبقي بهذا المنصب إلى أن وافته المنية.

وخلال حرب التحرير الجزائرية وبعد ثبوت مشاركته فيها والقاء القبض على ابنه البكر **سيد علي** الذي تم سجنه، انتقل الشيخ **بابا عمر** إلى باريس بطلب من عميد المسجد السيد **حمزة بوبكر**. وبقي هناك إلى غاية 1961م حيث عاد إلى مدينة الجزائر.
توفي المفتي رحمه اللّه يوم عيد الأضحى 1396هـ/2 ديسمبر 1976م. ودفن بمقبرة سيدي امحمد بو قبرين بحي بلوزداد يوم الجمعة 3 ديسمبر.

حديث الصيام
20 رمضان 1366هـ/ 7 أوت 1947م

بسم اللّه الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على أشرف المرسلين وعلى الآل والصحابة أجمعين.

أما بعد فحديث الليلة فيما ورد حول شعيرة الصيام من السهولة والتيسير ومن مطلوبية التخفيف ومراعاة الاحسان في آدائها حتى لا ترهق النفس ولا يدخلها إعنات يوجب الكلل أو يوقع في الملل وهي أحوال أقحمت في الدين اقحاما يظنها بعض الناس اتماما للصيام واحكاما للقاعدة ونهينا عن النعمق في آداء هذا الصيام كما في غيره من سائر العبادات التي ما هي في الحقيقة إلا وسيلة لارتباط القلب بسميّ الوصال في تشريف الخلال ومناجاة المعبود بالتشريع المعهود ظن البعض أن مجاوزة التوقيت المحدد من حسن الأداء فتجاوزوا الميقات المعلوم في الصوم إلى اشتداد الظلمة وغسق الليل فردّهم البيان النبوي إلى أصل التيسير وإلى القصر على الوارد وللموضوع عقد الامام البخاري ابوابا لأحاديث نبوية شريفة كلها سهولة وكلها رحمة يجب أن تؤتى كما تؤتى أعمال العزائم ثم في يسرها وبهجتها في مسائل الدين قال رحمه اللّه باب متى يحل فطر الصائم.

وصيغة هطا الاستفهام تقتضي جوابا وهو المعلوم في السياق بغروب الشمس وانه لا يجب امساك جزء من الليل لتحقق مضي النهار. وأفطر **أبو سعيد الخدريّ** حين غاب قرص الشمس ثم شرح ما في الترجمة بقوله: "حدثنا الحميد بن عبد اللّه بن الزبير قال حدثنا سفيان وهو ابن عيينة الامام الشهير قال حدثنا هشام بن عروة قال سمعت ابي يقول وأبوه هو عروة بن الزبير بن العوام قال سمعت عاصم بن عمر بن الخطاب عن ابيه رضي اللّه عنه قال: إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم" ولفظه وان كان يقتضي الخبرية ظاهرا إلا أن معناه الأمر كأنه يقول فليفطر الصائم.

يلي هذا الباب الصريح في هذا الحد المنظم السهل العملُ به على كافة الناس بما تقتضيه الفطرة من التعليم بهذه العلاقة المشاهدة للقاصي والداني. أبواب يؤكد بعضها بعضا بل ما يزيد في الترغيب في هذا التعجيل للحصول على ما وعد به من قبل رخصة النبي ﷺ وسرته هذه الكرامة التي لا يردها إلا لئيم فيقول في باب تعجيل الإفطار عن **سهل بن سعد** (رضي اللّه عنه) ان رسول اللّه ﷺ قال: {لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر} أي مدة محافظتهم على قواعد العبادة في حدودها امتثالا للسنة المحمدية ووقوفا عند الامر وتباعدا عن التنطع المذموم في الدين فإن التنطع إذا توبع أدى على تغيير قواعد الدين وفي ذلك الافساد المؤذي لأنه تحريف وتبديل ثم الحكمة العالية في الأمر أنه أرفق للصائم وأقوى له على العبادة وقد بين التقرير النبوي فيما رواه **أنس** (رضي اللّه عنه) قال: "ما رأيت النبي ﷺ قط صلى صلاة المغرب حتى يفطر ولو كان على شربة ماء".

وفي صحيح مسلم من رواية **أبي عطية** قال: "دخلت أنا ومسروق على عائشة فقلنا يا أم المؤمنين رجلان من أصحاب النبي ﷺ أحدهما يعجل الإفطار ويعجل الصلاة والآخر يؤخر الإفطار ويؤخر الصلاة قالت: أيهما يعجل؟ قلنا عبد اللّه بن مسعود قالت هكذا صنع رسول اللّه ﷺ" واتفق أهل العلم على أن هذا التعجيل مطلوب مرغب فيه إذا تحقق غروب الشمس بالمشاهدة أو بإخبار عدلين أما إذا كان للتحري وتحقيق الوقت فهو المطلوب.

(3) المهدي البوعبدلي، الأعمال الكاملة، قسم المراسلات، دار المعرفة لنشر والتوزيع، 141.

هذه تذكرة أيها المستمعون الكرام من ارشاد سيدنا رسول اللّه عليه صلوات اللّه تعلم المؤمنين ما لهم وما عليهم وتنير لهم سبيل التقوى في دائرة الطاقة البشرية وبحسب الإمكان في العمل من دون زيادة ولا نقصان وهي الحالة المرضية التي فاز بها من سبقت لهم الحسنى وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدينا اللّه.

حديث عيد الفطر
من سنة 1367هـ/5 أوت 1948م

اللّه أكبر اللّه أكبر
لا إله إلا اللّه واللّه أكبر اللّه أكبر ولله الحمد

روى أبو نعيم عن **أنس بن مالك** (رضي اللّه عنه) أن رسول اللّه ﷺ قال: {زينوا العيدين بالتهليل والتقديس والتحميد والتكبير}.
بغروب الشمس من هذا اليوم انتهى الشهر المبارك، شهر رمضان المعظم، بما ثبت لدى الهيئة الشرعية الإسلامية باجتهادها وتعاونها مع رجال العلم والقضاء والفتوى في سائر القطر الجزائري واللّه يجازي العاملين ويثيب المحسنين ويعفو عن المفرطين الجاهلين.

وهذه ليلة العيد السعيد عيد الفطر المبارك وهو العيد الذي يفرح له المؤمنون ويحق لهم أن يفرحوا وهذه هي الفرحة الأولى فرحة المؤمن عند الإفطار وهو ما بشرهم به رسول الرحمة ﷺ {للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه}
وفي صحيح البخاري في باب سنة العيدين لأهل الإسلام عن **البراء** (رضي اللّه عنه) قال: "سمعت النبي ﷺ يخطب فقال: {أن أول ما نبدأ به من يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل فقد أصاب سنتنا}"
وفي الباب عن **عائشة** (رضي اللّه عنها) قالت: "دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنّيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث، قالت: وليستا بمغنيتين فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول اللّه ﷺ وذلك في يوم عيد فقال رسول اللّه ﷺ {يا أبا بكر ان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا}.

إلى غير ذلك من أحاديث في فضائل وشعائره التي هي المطاهر الجميلة للدين ولنشره بين العباد ولولا هذه المظاهر التي يشارك فيها افراد الامة من سائر طبقاتها لما كان للدين رونقه الجميل وآثاره البادية الوضاءة الوضاحة وحتى هذه الاختلافات وتدخل العامة في التحقيق العلمي في اثبات الصيام او الإفطار فهو في نفس الامر حركة دينية واعتناء بأمر الدين ولقد كان الصحابة (رضي اللّه عنهم) لا يعيب الصائم منهم المفطر ولا المفطر منهم الصائم ما لم يخرج حد البحث الفقهي إلى الهمز واللمز وإلى إيذاء المؤمنين بفحش الكلام ومنكر القول والزور ظلما وعدوانا وكذبا وبهتانا فنسأل اللّه التوفيق لسلوك أقوم طريق.

وفي صبيحة هذه الليلة يسارع المسلمون إلى صلاة العيد ويؤدونها في الجماعات الجامعة لطبقات الأمة مهللين مقدسين محمّدين معلنين الكلمة الكبرى بالذكر الأكبر **اللّه أكبر** ولذكر اللّه أكبر.

وليس فرح العيد ولا حكمة العيد ان يقتصر الفهم على نفقات خصوصية وتنعمات بدنية دون التفات إلى الانفاق في سبيل اللّه ولا إلى ذكر الفقراء والمساكين فعن **جابر بن عبد اللّه**: "أن النبي ﷺ قام فبدأ بالصلاة ثم خطب الناس بعد فلما فرغ نبي اللّه ﷺ نزل فأتى النساء فذكّرهن وهو يتوكأ على يد بلال وبلال باسط ثوبه يلقي فيه النساء صدقة قلت لعطاء أترى حقا على الامام الآن ان يأتي النساء فيذكرهم حين يفرغ قال ان ذلك لحق عليهم وما لهم الا يفعلوا".

هذه أيها المستمعون كلمة ألقيت عليكم بمناسبة الليلة واللّه تعالى نسأل ان يجعله عيد فطر مباركا سعيدا على الجميع وان يلهم فيه الخلق رشدهم ويتعاونوا على الخير والفضل والبر والتقوى والإحسان.